المقتطف

الجزء السابع من المجلد الثالث والثلاثين

١ يوليو (تموز) سنة ١٩٠٨ — الموافق ٢ جماد ثاني سنة ١٣٢٦

السرجون اڤانس

نعت الجرائد السياسية والمجلات العلمية السرجون اڤانس شيخ علماء الاركيولوجيا توفاهُ الله في بيتهِ قرب مدينة لندن في الحادي والثلاثين من شهر مايو الماضي وهو في الخامسة والثمانين من عمرهِ وقد اوردنا طرفاً من ترجمتهِ في المجلد السابع والعشرين من المقتطف حيث قلنا

يقول العرب طالب علم وطالب مال لا يجتمعان وقالوا ما احسن الدين والدنيا اذا اجتمعا فنفوا المال عن طلبة العلم واستحسنوهُ في رجال الدين . ولكن اذا حقَّ لنا ان نبيح المال لقوم وحرَّمهُ على قوم ابحناهُ لرجال العلم لا لرجال الدين لان هؤلاء احرى من كل احد بالزهد في حطام الدنيا لكي يتسنى لهم حث غيرهم على الزهد فيها فلا ينصرف همُّ الناس كلهُ اليها . اما العلم فانهُ قرين المال وعميدهُ بل كلٌّ منهما عضد الآخر . العلم يزداد نفعهُ بالمال والمال يزداد نفعهُ بالعلم وعليهما كليهما تبنى عزَّة الامم وتقام دعائم الممالك ولا ترتقي الشعوب الاَّ حيث يعضد المالُ العلمَ والعلمُ المالَ

لما زرنا معرض باريس الاخير انسنا بلقاء رجل من شيوخ العلماء وهو السرجون اڤانس وكنا نسمع عنهُ ونقرأ خطبهُ ونودُّ التعرُّف بهِ وبقينا انهُ منقطع للعلم لا يفعل شيئاً سواهُ . ثم زار القطر المصري في الشتاء الماضي وحالما وقع نظرهُ على بالات الورق في دار المقتطف وقف متهلِّلاً واستوقف زوجتهُ لادي اڤانس قائلاً لها انظري ورق معملنا . ثم اخبرنا انهُ من اصحاب معمل دكنصن المشهور لعمل ورق الكتابة وورق الطباعة في البلاد الانكليزية وقد تحوَّل هذا المعمل الآن الى شركة مساهمة رأس مالها ٤٥٠ الف جنيه . ولدى البحث والاستقصاء وجدنا انهُ ابن اخت جون دكنصن منشئ هذا المعمل وقد انضمَّ اليهِ سنة ١٨٤٠

وعمره ١٧ سنة وتزوج بابنته واشترك معهُ سنة ١٨٥٠ وعكف على توسيع نطاق المعمل واتقان اعماله وتوفير ارباحه ولم يصرفهُ ذلك عن خدمة العلم فقضى حق العلم وحق المال لانهُ كان يقضي ساعات الفراغ من الاعمال في الدرس والبحث وانتظم في سلك كثير من الجمعيات العلمية وصار رئيساً لكثير منها فرأس جمعية علم النقود وجمعية العاديات والجمعية الجغرافية والجمعية المنكية ومجمع ترقية العلوم البريطاني . ولهُ تآليف مختلفة في علم النقود والعاديات وعندهُ مجموع كبير من التحف قلما يوجد مثلهُ وقد ظهر لنا من الحديث معهُ ان عندهُ من نوادر النقود القديمة ما لا مثيل لهُ عند سواهُ

ولو اقتصر هذا الرجل على خدمة العلم ما مات جوعاً ولا عاش فقيراً مغربا كما يعيش كثيرون من خدمة العلم عندنا ولا اضطرَّ ان يهرب بفلسهِ وكثيرٍ من بلاد الى أُخرى كما يهرب كثيرون من ابناء الشرق الذين قضى عليهم فكد الطالع ان يكونوا من ارباب الاقلام لان لرجال العلم شأناً كبيراً عند الامة الانكليزية وكل الامم الاوربية . ولكنهُ لو فعل ذلك ما استطاع ان يقتني القصور ويجمع التحف ويضيف العلماء وينفق على المباحث العلمية انفاق المثري الكريم . فقد اخبرنا ابتدا انهُ زارهُ في قصرهِ في مدينة دوفر وكان قد دعا اليهِ كثيرين من اعضاء مجمع ترقية العلوم البريطاني فرأى بسطة جاهٍ وعزًّا لا يظهر فيهِ الا الامراء وكبار الاغنياء . ورأينا في نشرة نشرتها لجنة البحث عن آثار كريت ان اكثر نفقات البحث متهُ والباحث عن تلك الآثار ابنهُ فكأنهُ وقف مالهُ واولادهُ لخدمة العلم . فالمال الذي اكتسبهُ بجدهِ من صناعة الوراقة كان لهُ عوناً كبيراً على توسيع نطاق العلم فوق ما فيهِ من رفعة الجاه عند من يعرف كيف ينفق مالهُ في ما يُكرَم على انفاقهِ فيهِ . ولم يثرِ هذا الرجل مثل كبار الاغنياء لكن مقامهُ بينهم لا يقلُّ عن مقامهم ونفعهُ لوطنهِ يزيد على نفعهم . اقتنى ما نشرناهُ عنهُ منذ اكثر من ست سنوات

وقد اطلعنا الآن على ترجمة مسهبة لهُ في جريدة التيمس فنقتطف منها ما يأتي

بقي السر جون الى قبيل وفاتهِ ببضعة اشهر متمتعاً بالصحة كأن قوتهُ الحيوية لا تغلب عليها الشيخوخة . اعترفت صحتهُ قليلاً في الصيف الماضي لكنهُ بقي مواظباً على اعمالهِ المختلفة ثم حمَّ الاجل بغتةً ودعاهُ داعي الردى فانقضت حياةٌ كلها عمل وجهاد

ولد سنة ١٨٢٣ وابوهُ القس ارنو افانس فانظر مدرسة من المدارس العالية وامهُ من بيت دكنصن اصحاب معمل الورق المنسوب اليهم فدرس في المدرسة التي كان ابوهُ ناظرًا لها ولم يدرس في مدرسة جامعة ولكن فاق متخرجي المدارس الجامعة في معارفهِ العلمية

والاديبة وبقي حتى ادركتهُ الوفاة يذكر الشاهد بعد الشاهد من كتاب اليونان والرومان بالسهولة التامة . وكان قد استعد لاتمام دروسهِ في اكسفرد ولكنهُ دعي لمعاطاة الاشغال فعدل عن الذهاب اليها وذهب الى المانيا لدرس اللغة الالمانية استعداداً للتجارة . ومنذ عهد غير بعيد حسب من مخرجي تلك المدرسة وهو الشرف الذي توخاهُ قبل ذلك بستين سنة فسُرَّ بهِ سروراً فائقاً

والظاهر ان هذا العالم المدقق والاثري المحقق والسياسي المحنَّك ولد ليكون من ارباب الصناعة فانضمَّ وهو شاب الى معمل اخوالهِ الذي يصنع الورق وسكن على مقربة منهُ خمسين سنة وصار بيتهُ هناك مقصداً للعلماء والفضلاء من كل الاقطار وقلَّ منهم من يعرف انهُ على علمهِ الواسع واشتغالهِ بكثير من العلوم والفنون يشتغل بصناعة الوراقة والتجارة بالورق ولهُ فيهما المقام الارفع . وقد نُحي عن الاشتغال في ذلك المعمل منذ سنوات قليلة بعد ما نجح المعمل بهمتهِ نجاحاً فائقاً ولكنهُ لم ينقطع عن الاهتمام بهِ والاعتناء بادارتهِ . وجُعل رئيساً لجمعية الوراقين وبقي في هذا المنصب سنين كثيرة

ومنذ نحو اربع سنوات ترك بيتهُ بل قصرهُ الذي قرب المعمل لان هواءهُ لم يعد يوافق صحة زوجتهِ وبنى بيتاً بديعاً في ضواحي لندن وسكنهُ منذ سنة ١٩٠٦ ونقل اليهِ كتبهُ ومجموعاتهِ المختلفة

ولقد كان من اشهر علماء العصر في العاديات على اختلاف انواعها واول فرع اتقنهُ من فروعها علم النقود القديمة فانتظم في جمعية النقود (نومسماتك) سنة ١٨٤٩ والتخب سكرتيراً لها سنة ١٨٥٤ ورئيساً لها واقام في هذا المنصب من سنة ١٨٧٤ الى سنة ١٩٠٤ حين احتفل بمضي خمسين سنة منذ انضمامهِ اليها . واول كتاب ألَّفهُ في النقود موضوعهُ نقود بريطانيا القديمة نشرهُ سنة ١٨٦٤ ثم الحقهُ بملحق سنة ١٨٩٠ . لكنهُ لم يكن مقتصراً على علم النقود ونحوه من فروع العاديات بل كانت لهُ مشاركة واسعة في علم الجيولوجيا والانثروبولوجيا . وهو اول من اهتمَّ بادوات الظرَّان وعرف فائدتها الجيولوجية والتاريخية ولا سيما في ما يتعلق بالانسان قبل عصر التاريخ وانشأ رسالة في هذا الموضوع سنة ١٨٦٠ ثم رسالة اخرى سنة ١٨٦٢ وتوسع في هذا البحث والفتهُ حتى صار اكبر ثقة فيهِ في المسكونة وعندهُ مجموعة كبيرة من الظرَّان لا مثيل لها في الدنيا على الراجح . وسنة ١٨٧٢ طبع كتابهُ المشهور عن الادوات الحجرية والاسلحة والحلى التي كانت مستعملة في بريطانيا وارلندا في العصور الغابرة

وانتخب رئيساً لجمعية الجيولوجية سنة ١٨٧٤ وكان عضواً في الجمعية الملكية وبقي امينا لصندوقها عشرين سنة . وانتخب رئيساً لجمعية العاديات واميناً من امناء المتحف البريطاني ورئيساً للمجمع الانثروبولوجي ومجمع الكيمياء الصناعية وأُعطي لقب سر سنة ١٨٩٢ وكثيراً من الالقاب العلمية من كثير من المدارس الجامعة . وانتخب رئيساً لمجمع تقدم العلوم البريطاني سنة ١٨٩٨ ورئيساً لجمعية الفنون ولجمعية النقب في القطر المصري

ولم يقتصر على التفوّق في العلوم والفنون بل خدم بلادهُ في امورها الداخلية فانهُ كان رئيساً للمجلس البلدي في الناحية التي هو فيها ولمجلس القضاء وقد انتخبهُ اهالي بلادهِ لهذا المنصب لا لعلمهِ وشهرتهِ بل لما رأوهُ منهُ من العدل واصابة الرأي

وكان مغرماً بجمع التحف الثمينة النادرة وعندهُ منها ما لا مثيل لهُ في المتاحف الكبيرة ومجموعة النقود التي عندهُ تحوي نقود كل البلدان والازمنة وهي مشهورة في الدنيا وكذلك مجموعة الحلى الذهبية ومجموعة الظران والادوات التي من قبل عصر التاريخ

وكان عارفاً باللغة العبرانية وهيئتهُ تشبه هيئة الاسرائيليين حتى انهُ اذا زار كنيساً من كنائسهم يحسب من رهبانهم وتدفع اليهِ التوراة ليقرأها لهم . وكان يعرف ايضاً الالمانية والفرنسوية ويحسنهما تكلُّماً وخطابةً (وقد ذكرت التيمس انهُ وقف غير مرة خطيباً بهاتين اللغتين)

وكان مضيافاً انيس المحضر والمحاضرة مغرماً بالصيد محافظاً في السياسة من اشد المحافظين تمسكاً بمبادىء حزبهِ ويميل الى حماية التجارة

هذا ما اقتطفناهُ من مقالة التيمس . وقد زار القطر المصري مراراً مع لادي افانس وكان يشكر في زيارتنا كل زارهُ فنجد منهُ ما يفوق الوصف من الانس والظرف وحسن المحاضرة . وان من ابهج المناظر التي تذكرها منظر ذلك الشيخ الجليل وقد ابرقت اسرتهُ وتلألأت عيناهُ حينما يخرج من جيبهِ قطعة من النقود النادرة المثال وجدها مع احد باعة النقود القديمة فاشتراها منهُ وقرأ ما عليها من الكتابة واستدلَّ منها على حقيقة تاريخية مجهولة . اومنظرهُ وقد اخذ يصف لنا ما شاهدهُ في صحاري القطر المصري وبين انقاض مدنهِ القديمة وهو فوق الثمانين . ومن اطرب الاحاديث ما يطرف بهِ مجالسيهِ من الطرف والنكات الادبية ولركان مريضاً يتوجَّع . وقد زارهُ اولادنا في البلاد الانكليزية فرأوا منهُ ومن لادي افنس جاهاً عريضاً وكرماً حاتمياً